الأهرام

١٩٥٦/٨/٢٧

مليون ونصف مليون جنيه

نفقات حفلة افتتاح قناة السويس

للأستاذ محمد الشرقاوي

أشار الدكتور سيد صبري في مقاله القيم في عدد الأهرام السويسرية الى تلك الاحتفالات والمهرجانات التي لم تشهد البلاد مثلها من قبل . والى التكاليف الكثيرة التي كانت من النفقات وأثر هذه الاحتفالات والمهرجانات وتكاليفها ، من الحقائق التي تستحق التأمل والاعتبار ، وترتيب العبرة ، أيضا في الوقت الحاضر .

كان علي باشا مبارك وزيرا للأشغال والمعارف والأوقاف ، ومديرا لشركة الحديد عندما تم الاستعداد لافتتاح قناة السويس . فكلف أمره الخديو اسماعيل بالاشراف على هذه الحفلات ، وبهيئة كل ما يحتاج من الوسائل لراحة ضيوفه من ملوك أوربا وعظمائها الذين حضروا حفلات الليالي التي استمرت يوم ذاك ، في أوربا ، بليالي هرون الرشيد وأحلام الشاعرة وليلة . وقد وصف علي مبارك هذه الحفلات الباهظة (ص ١٢٧ - ١٢٨ ج ١٤ من الخطط) .

سافر اسماعيل بنفسه الى أوربا ليدعو عظمائها وملوكها لحضور الحفلة . فأما رجوع الخط فقد تكلف بنفسه على أعداد القصور التي يقيمون فيها ، وعلى إنشاء دار الأوبرا التي بنيت وفرشت وأعيدت بالتحف الفاخرة ، وأعدت للحفلات ، في أوبرا يوما ، وكان يشرف أيضا على نظام البواخر الذهبية التي تعد لرحلتهم ، وعلى ما سيتناولون فيها من طعام وشراب ، وأسند أمره الى علي باشا مبارك بأن يباشر ويقرب شركة الحديد بالمجان في جميع الترتيبات ، على نفقة الحكومة ، وبنيت سراي الاسماعيلية خصيصا لاستقبال الضيوف والمدعوين .

وابتدأ حفل الافتتاح يوم ١٢ سبتمبر من سنة ١٨٦٩ بحضور ملوك أوربا وعظمائها ، كان منهم الامبراطورة أوجيني ، والامبراطور النمسا ، وولي عهد ألمانيا ، وولي عهد ايطاليا وعشرات من أمراء أوربا ومشاهير رجالها ، وسارت السفن بهم في أعلى زيادات بورسعيد تشق مياه القناة ، حتى وصلت السفن الى الاسماعيلية أمضوا فيها ليلة . قال ان شهود الناس لها مأثورا من قبل ، ليلة ادخلت هؤلاء الملوك والأمراء ، الذين تخيروا أيامهم ولياليهم بين مخاضر الترف والنعيم .

ويقول علي مبارك أن الذين شاهدوا هذه الحفلة يقدرون ألف ، أضعفهم من الأجانب ثم سافر ضيوف اسماعيل الى السويس ومنها الى القاهرة ، وأقام الذين منهم فيها ، في ضيافة اسماعيل ، الوقت الذي شاء ، وكثير منهم لم يبدأ شاء من الرحلات من طريق النيل ، وكانت بحلاتهم وزحامهم في جميع الأوقات التي أمضوها في مصر حتى عودتهم الى بلادهم على نفقة اسماعيل أيضا .

أما الامبراطورة أوجيني فقد خصها اسماعيل بعناية فائقة ، حينما أتيا برحلة الى الشلال تخصص لها سندرة سفينة ، أتيا ولحاشيتها وكان بعض هذه السفن يقوم بتقديم الطعام والشراب والفاكهة وغيرها من القاهرة الى سفينة الامبراطورة . وقامت الرحلة اثنين وعشرين يوما كان اسماعيل ، في كل محطة يمد لمحطة ، يهتم بالسؤال عنها والاطمئنان على راحتها وسرورها ، حتى أنه أمر بتزويدها في الرحلة كل من أبنه الأمير حسين كامل ، ورياض باشا .

ويقول علي مبارك : وكان كما تقدم وزيرا لنفقات وزارات ومديرا لشركة الحديد ومكلفا بالاشراف على تنظيم حفلة الافتتاح . فأقول أن ما انفق على هذه الحفلة بلغ أكثر من مليون ونصف مليون جنيه انجليزي ، وأن هذا المبلغ كان سدس ميزانية الحكومة كلها .

ومع هذا نعرف من المشاهدة التي كانت بين علي مبارك وزير الداخلية محمد علي باشا واسماعيل على الأخص ، وأنه تعلم في فرنسا مع أنجال محمد علي ، وعلى تعلقه ، وأولى أعظم مناصبه من بعده ، مع هذا كله نحس في حديث علي مبارك عن هذه الحفلات روح السخط والتعجب والحسرة . ومن ذا الذي لا يحس ذلك أمام هذا الاسراف الذي بلغ حد السفه .. ؟ والذي كان سببا فيما أصاب مصر بعد ذلك من شرور ومحن .

تمثال على الطراز الافريقي الهوائي من متحف الفنون الوطني بقسم الافغانستان

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية